تدبرٌ في سورة سبأ

سورة سبأ أخت سورة الفرقان... تسرد شبهات المشركين وتردُّ عليها، وتُركِّز السورة أيضاً على عظمة الله وقدرته، فربنا له كل شيء في السماوات والأرض، ويعلم كل شيء وحكمته ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]، وتركز السورة كذلك على الرد على منكري البعث، وهي قضيةٌ متكررةٌ في السورة، وجاء في سياق السورة بعض القصص الملهمة لرسول الله ﷺ، خاصة وهو في الفترة المكية... فتدبرها إنْ أردتَ نفعاً، وقضايا كبيرة غيرها...

لكنْ ما لفت نظري في السورة هو استدعاء قصة داود عليه السلام، فهي رسالةٌ للكفار في قريش مفادها: لا تحسبوا محمداً عبداً مسكينا وشيخاً في زاوية حوله غنيمات!!، كلا بل هو نبيٌّ مَلِك، سيبلغ ملكه ما بلغ ملك داود وسليمان عليهما السلام، وسيغير محمدٌ السياسات والثقافات الموجودة إلى ما يحبه الله ويرضاه.

تأمَّل كيف جمع الله لداود عليه السلام في السورة بين أمرين مهمين: الأول: هو التفاعل الناعم مع الكون، فقد كان يذكر الله ويتغنى ويرتل، وكانت تراتيله ومزامير صوته توقف الطير في السماء من سِحر صوته ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: 10]، والأمر الثاني: هو المهارات العسكرية والبأس الشديد الذي يُحوِّل الحديد إلى رماحٍ وسيوف ودروع، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ..﴾ [سبأ: 10-11]، كلُّ هذا إلى جانب الصوت الشجي الحنون!!.

الخلاصة: إنَّ العقل الذي يفقه الحياة فيحركها وفق مراد الله هو عقلٌ يفقه الآخرة، ولن يستطيع نصرة الإيمان أبلهٌ ولا كسول، والكلام يحتاج بسطاً إلَّا أنَّ هذا يكفي، وختاما: ما أجمل سورة سبأ إذا رتَّلها القُرَّاء المجاهدون.